

دلالة التعليل في اللغة العربية السببية نموذجاً

The significance of causality in the Arabic language

الدكتور / زيتوني صالح

- قسم اللغة والأدب العربي-جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي (الجزائر)
zitouni.salah@univ-oeb.dz

تاريخ الإيداع: 2020/04/30 تاريخ القبول: 2021/06/13 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

التعليل أسلوب وظاهرة لغوية تقتحم الكلام فتربط أجزائه ببعضها، وليس بعيداً عنه رابط السببية والذي يعدّ مبحثاً مشتركاً بين علوم اللغة العربية؛ فلا نجد مصنفًا في أيّ علم منها إلا وقد تضمّن إشارات إليه في مستوى معين؛ وذلك لأنّ التعلّق بين الألفاظ والجمل في التركيب يولّد دلالات إضافية نتيجة تأثرها ببعضها، فمن حيث اللفظ نجد الأثر الإعرابي في أواخر الكلم ظاهراً أو مقدراً، ومن حيث الدلالة نجد ارتباط اللفظة بأختها والجمله بالتي تسبقها أو بالتي تليها ارتباطاً معنوياً؛ كأن تكون الأولى سبباً للثانية أو علة أو شرطاً أو جواباً لها.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم السببية قديماً وحديثاً، وتحديد الفروق اللغوية بين هذا المصطلح وبين المصطلحات المرادفة له كالتعليل والاستعانة، واستقراء خصائصه ودلالاته في مباحث علماء اللغة.

الكلمات المفتاحية: دلالة؛ علاقة؛ سببية؛ علة؛ لغة؛ عربية.

Abstract:

explanation is a method and a linguistic phenomenon that connects the parts of speech together, and the causal relationship is a common research area in Arabic language science. Researchers generally address the relationship between words and sentences in composition which generates additional connotations. In terms of pronunciation, for instance, the syntactic effect at the end of words is visible or estimated. In terms of significance, one word is related to another, and one sentence is related to another precedent or subsequent sentence bearing cause, consequence, or condition relations. The aim of this research is to highlight the concept of "causation", to identify linguistic differences between this term and other related terms such as explanation and recourse, and to instill its characteristics and evidence in the research of language scientists.

key words: *Meaning; relationship; causality; consequence; language; Arabic.*

تحكم الألفاظ في التركيب علائق مختلفة تجعل منها نسيجاً محكماً وبناءً مترابطاً على صعيدي البنية الحسية السطحية والبنية المجردة العميقة، فلا يجد القارئ مناصاً من تأمل نسق الكلام ليقف على دلالاته ومرامييه.

ومن بين هذه العلائق والروابط رابط السببية؛ الذي يعد من أكثر الروابط استعمالاً في الكلام. ومن هنا جاء موضوع هذه الورقة البحثية "دلالة التعليل في اللغة العربية السببية أنموذجاً" ولما كثرت الدراسات حول التعليل في اللغة العربية بين أطروحات ورسائل ومقالات أثرت تخصيص هذا البحث لعلاقة السببية؛ إذ أنني - في حدود بحثي - لم أقف على أي دراسة سابقة خاصة بها، إلا ما تفرق في ثنايا كتب النحاة واللغويين والبلاغيين.

فما معنى التعليل؟ وما دلالة السببية؟ وما الفرق بين السببية وبين المصطلحات القريبة منها دلالة ووظيفة كالتعليل والاستعانة؟ وما مدى أهمية هذه العلاقة في فهم تركيب الكلام العربي، واستقراء خصائصه؟

انطلاقاً من هذا الإشكال سعت بالبحث فيما توفر لدي من مصادر اللغة والنحو، قصد تسليط الضوء على دلالة السببية، وتحديد مفهومها ووظيفتها في الكلام واستعمالاتها فيه ودورها في التركيب، متبعا في ذلك المنهج الوصفي الاستقرائي؛ الذي وجدته الأنسب في تتبع علاقة السببية واستعمالاتها.

وقد افتتحت الكلام حول الموضوع بذكر مفهوم التعليل ثم تطرقت إلى تحديد دلالة السببية وبيان الفروق بينها وبين المصطلحات المترادفة معها في الاستعمال النحوي، بعد ذلك اجتهدت في استقراء خصائصها في مباحث متفرقة من النحو، انتهاء بخاتمة لأهم نتائج البحث. ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الورقة البحثية: مغني اللبيب لابن هشام، وشرح الكافية للرضي، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وكتاب الجني الداني للمرادي.

1- حد التعليل:

أ- لغة:

لفظ التعليل من أكثر المصطلحات استعمالاً في كتب النحو وأصوله، وهو مصدر الفعل (عَلَّلَ)، "والعلل: الشرب الثاني. يقال: علل بعد نهل... والتعليل: سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد أخرى... والعللة: المرض، وحدث يشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شُغْلاً ثانياً مَنَعَهُ عن شُغْلِهِ الأوَّل..."¹

فمعنى التعليل في اللغة يدور حول تكرار الشيء مراراً، والانشغال بأمر طارئ عن أمر سابق.

ب- اصطلاحاً:

أما في اصطلاح النحاة فالتعليل مرتبط بالعلة، "وهي كل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام الغير إليه فهو علة لذلك الأمر"². فهذا الحد يجعل العلة مستقلة عن الأمر المتعلقة به، وإن كانت مؤثرة فيه، وهذا ما يوضحه قولهم "هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه"³. والتركيز على استقلالية العلة وكونها خارجة عن الأمر المرتبط بها ضروري؛ إذ لا يمكن أن تكون العلة جزءاً من معلولها.

والتعليل "هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر"⁴. فهي علاقة عقلية منطقية لازمة، كما قيل بأنه "انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان"⁵. فالعقل دائماً يبحث عن علل الأشياء وأصل حدوثها، كبخثه عن أصل النار؛ إذ يرى الدخان الذي يدل عليها.

وهنا تظهر أهمية العناية بمبحث العلة في الدراسات اللغوية؛ إذ أن العقل دائماً يبحث عن علل الأشياء وأصلها وأسباب حدوثها.

2- حد السببية:

أ- لغة:

السببية مصدر صناعي مشتق من السَّبَب، والسبب في اللغة "الحبل الذي يتوصل به إلى الماء"⁶، أو هو "كل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها... ويقال للطريق: سبب"⁷، لأنك بسببه تصل إلى الموضع الذي تريده"⁸.

كما في قوله تعالى: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (85)" الكهف: 84-85.

أطلق في الآية لفظ السبب على ما يتوصل به إلى الشيء من علم أو مقدرة أو آلات التسخير على وجه الاستعارة.⁹

من خلال التعريفات السابقة يتبين أنّ دلالة السبب الوسيلة المعينة على أمر ما، أو الطريق المؤدية إلى مكان ما، فيكون علاقة تربط شيئين أو تقرّبهما.
ب- اصطلاحاً:

لمصطلح السبب مفاهيم وحدود مختلفة بحسب العلم الذي تبنّاه، فأما في اصطلاح العروضيين فالسبب: حرفان أو حركتان، إمّا متحرك فساكن وهو السبب الخفيف، وإمّا متحركان متتاليان وهو السبب الثقيل.¹⁰

أما في علوم الشرع: فالسبب "عبارة عمّا يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه".¹¹ فيكون موصلاً إلى حكم ما دون أن يكون جزءاً منه ولا مؤثراً فيه، كالصلاة مثلاً، فسيبها دخول الوقت وهو شرط لصحتها، لكنّه ليس جزءاً منها. وقيل أيضاً بأنّ "حدّه ما يحصل الشيء عنده لا به".¹² بمعنى أن يكون له علاقة في حصول أمر ما دون أن يكون الأداة المباشرة له،

وقد مُثِّل على ذلك بحبل مربوط بدلو يستقى به الماء من البئر، وهو وإن كان وسيلة لا بدّ منها لإخراج الماء، إلا أنّ الاستقاء كان بالسحب لا بالحبل.¹³

أما السببية فهي العلاقة بين السبب والمسبب¹⁴؛ فإذا كان السبب الوسيلة المؤدية إلى إنجاز عمل ما، وكان المسبب أثر السبب ونتيجته، فإنّ السببية هي الرابط بينهما، ولذلك يقال عن حرف ما أنّه يفيد السببية، أي أنّ ما قبله سبب لما بعده أو مسبب عنه.

3- الفرق بين السببية والتعليل:

يتداخل المصطلحان ويترادفان في استعمال أهل اللغة والفقه، فمن اللغويين من جعلهما متقاربين في المعنى متساويين في الحكم، ومنهم من فرق بينهما، فاستعمل كلّاً منهما في موضع دون الآخر، كما بيّن ذلك أبو حيان في قوله: "كأنّ التعليل والسبب عندهم شيء واحد".¹⁵ ووافقه السيوطي في ذلك ونقله عنه.¹⁶

وخالفهم ابن السبكي قائلاً: "بل الفرق بينهما كامن عند أهل اللسان وأهل الشرع".¹⁷ لأنّ المدقق في الفروق الجوهرية بين المصطلحات ينزل كل مصطلح منزلته ويضعه مكانه، فإن كان دخول شهر رمضان سبباً للصيام، لقوله تعالى: "فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ" البقرة: 185، فإنّ التقوى علته، لقوله تعالى: "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (183) البقرة: 183.

أما عند اللغويين فقد سبق تبين مفهوم السبب عندهم على أنّه: كل شيء يتوصل به إلى غيره، كالطريق الذي يتوصل به إلى المكان والغاية، وكالتشابه بين الفعل المضارع والاسم المعرب، الذي

أعطى الفعل حكم الإعراب، أمّا النحاة فأكثرهم يرى أن اللام للتعليل لا للسببية، وأنّ الباء للسببية لا للتعليل، كابن مالك وغيره؛ فيجمع بينهما في قولنا: دخل الوقت فأقيمت الصلاة لعبادة الله، فالفاء أفادت السببية واللام التعليل.

وأنشد على ذلك¹⁸: "من الطويل"

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبِيَّ لِلشَّيْءِ عِلَّةٌ يَكُونُ لَهَا كَالنَّارِ تُقَدِّحُ بِالزَّئِدِ

فالشاهد في البيت أنّ الشاعر قد جعل علة إشعال النار القدح بالزند، أمّا السبب فيكون الحطب مثلاً لأنّ إشعال النار يكون عنده وإشعالها بالقدح.

وفي هذا المقام يبيّن أهل اللغة أنّ المعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما، ولا شرط يتوقف الحكم على وجوده، أمّا السبب فيفضي إلى الحكم بوسائل، ولذلك يترأى الحكم عنه حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع، وأمّا العلة فلا يترأى الحكم عنها؛ إذ لا شرط لها بل متى وجدت أوجب معلولها بالاتفاق¹⁹...

ولتوضيح رأيه نأتي بمثال بسيط: فلو أنّ رجلاً حفر حفرةً ثم دفع أحدهم فسقط فيها، لكان الحفر سبباً للسقوط والدفع علة له؛ إذ أنّ حفر الحفرة لم يوجب السقوط فيها لكنّه أسهم فيه، أمّا الدفع فقد أوجب السقوط مباشرة. وهكذا يتضح الفرق بين المصطلحين.

4- الفرق بين السببية والاستعانة:

يوظف النحاة هذين المصطلحين بكثرة في مؤلفاتهم، فمنهم من يجمع بينهما في سياق واحد للدلالة على اختلافهما، ومنهم من يستغني بأحدهما عن الآخر لبيان أنّهما متقاربان معنى ووظيفة، وإن كان حرف الجر الباء يشملهما معاً، فممن جمع بينهما ابن مالك في ألفيته في قوله²⁰:

وَزَيْدٌ وَالظَّرْفُفِيَّةُ اسْتَيْنُ بِبَا وَفِي وَقَدْ يُبَيِّنَانِ السَّبَبَا
بِالْبَا اسْتَعْنِ وَعَدِّ عَوْضُ الصِّقِ وَمِثْلُ مَعٍ وَمِنْ وَعَنْ يَهَا انْطِقِ

ففي البيت الأول أعطى الباء دلالة السببية في قوله: "يبينان السببا" وفي الآخر دلالة الاستعانة في قوله: "بالبا استعن"، وهذا دليل على أنّهما غيران في نظره؛ فالباء دلت على معنيين مختلفين، ويتبين أنّهما صحيحان بالسياق والمعنى العام.

وعلى نهجه سار ابن هشام الأنصاري الذي أسند للباء عدّة معان ووظائف، منها الاستعانة والسببية، فحدّ الاستعانة بأنّها "الداخلية على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم"²¹؛ فهنا لدينا فعل الكتابة وآلة الكتابة والحرف الرابط بينهما الذي يحمل معنى السببية، ومثّل للسببية بقوله تعالى: "إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ" البقرة: 54، وبقوله أيضاً: "فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ"

العنكبوت:40. فيفهم من الآيتين أنّ اتّخاذ العجل معبودا من دون الله سبب لظلم النفس، وأنّ الذنب سبب للأخذ بالعقاب.

أما الرضي الإستراياذي فرأى السببية فرعا عن الاستعانة، ومثّل للاستعانة بقولهم: كتبت بالقلم وقطعت بالسكين، وهذا وإن كان على حقيقته فإنه يصح مجازا وتوسعا كذلك أن يقال: كتب القلم وقطع السكين، أما بالنسبة للآيات التي استشهد بها ابن هشام وغيره فالفاعل فيها هو الله - عزّ وجلّ - واستعمال الاستعانة فيها لا يجوز²²؛ إذ كيف يسند لله فعل الاستعانة وهو القادر على كل شيء. إنما ذلك خاص بالمخلوق لا الخالق سبحانه،

وخالفه أبو حيان²³ ويبيّن أنّ هذا الرأي فيه نظر، لأنّ الكثير من النحاة فرقوا بين باء السببية وباء الاستعانة فقالوا: باء السببية هي التي تدخل على سبب الفعل نحو: مات زيد بالحب وبالجوع وحججت بتوفيق الله²⁴؛ أي بسبب الجوع والحب وبسبب توفيق الله.

أما باء الاستعانة هي التي تدخل على الاسم المتوسط بين الفعل ومفعوله الذي هو آلة، نحو: كتبت بالقلم ونجرت الباب بالقدوم وبريت القلم بالسكين وخضت الماء برجلي؛ إذ لا يصح جعل القلم سببا للكتابة ولا القدوم سببا للنجارة ولا السكين سببا للبري ولا الرجل سببا للخوض²⁵، وإنما تدل على الاستعانة، والفرق بين المعنيين واضح.

فعلى رأيه لا يمكن جعل السببية فرعا عن الاستعانة، بل هما دالتان مختلفتان ولهما أثران متباينان، فللاستعانة أثر محسوس بيّن كما هو واضح في الأمثلة، وللسببية أثر معنوي يُفهم من السياق، وهذا رأي فيه بعض الوجهة والدقة أكثر مما في رأي الرضي الأخير.

5- دلالة السببية في المباحث النحوية:

تتدخل معاني السببية ووظائفها في أبواب النحو والبلاغة المختلفة خاصة ما تعلق منها بارتباط الكلم والجمل ببعضها، ومن أهم هذه الأبواب: باب الشرط، وأبواب حروف الجر والنصب والجزاء وغيرها، ونبدأ هنا بباب الشرط لأنّه أكثرها اشتمالا لهذه الدلالة.

1-5 دلالة السببية في حروف الشرط:

المعلوم أنّ الجملة الشرطية ترتبط فيها جملة بأخرى بواسطة أداة تكون اسما أو حرفا، جازمين أو غير جازمين دالين على الماضي أو على المستقبل، فالجملة الأولى هي جملة فعلية تسمى جملة الشرط، وهي التي تتضمن فعلا يكون شرطا يتحقق جوابه أو جزاؤه في الجملة الأخرى التي تسمى جملة جواب الشرط، التي تكون اسمية أو فعلية مقترنة بالفاء الرابطة أو مجردة عنها، فيكون هذا الارتباط سببيا، لأنّ فعل جملة الشرط الأولى سبب للجزاء في الجملة الثانية، ويكون على هذا الأساس الرابط بينهما -وهو حرف أو اسم الشرط- رابطا سببيا، وقد عني سيبويه بهذا الباب أيّما

عناية، من حيث تفصيل الدلالات الشرطية وأدواتها واشتراك المباحث النحوية فيها²⁶، ومن أحرف الشرط التي تضمنت دلالة السببية "لو" و"إن":

لو: هي حرف يفيد امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط، وهي بذلك تفيد معنيين²⁷:

(أ) الشرطية أي عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها.

(ب) تقييد الشرطية بالزمن الماضي وبهذا الوجه فارقت "إن" فإن هذه لعقد السببية والمسببية في المستقبل²⁸.

وتفصيل ذلك أنّ حرف الشرط "لو" يربط جملتين ويدل على أنّ سبب عدم وقوع الجواب أو الجزاء هو عدم تحقق شرطه في الماضي، بينما حرف الشرط "إن" يشترط لوقوع الجزاء مستقبلا وقوع شرطه في الحاضر أو المستقبل.

وفي الحالتين فحرف الشرط يربط جملتين، إحداهما سبب للأخرى ومؤثرة فيها فالعلاقة بينهما سببية.

2-5 دلالة السببية في حروف الجر:

دلالة السببية ظاهرة بكثرة في معاني حروف الجر، والتي يكون لكل منها دلالات مختلفة حسب السياق الذي جاءت فيه، ومن حروف الجر التي قد تتضمن دلالة السببية: الباء وفي ومن وحتى... أولا: "في": ولها معانٍ واستعمالات عدة منها السببية، كما في قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن امرأة دخلت النار في هرة"²⁹. أي: بسببها.³⁰

وتقدير الكلام: إن امرأة دخلت النار بسبب هرة، أو -بالنظر إلى سياق الحديث- بسبب معاملتها هرة، فهنا نحدد ثلاثة عناصر:

*- المعاملة السيئة للهرة من قبل المرأة. (السبب).

*- دخول النار (الحكم أو النتيجة أو المسبب).

*- العلاقة بين السبب والنتيجة وهي (السببية). وهذا المعنى أفادته "في" في الحديث وهو محل الشاهد.

وكما في قول الشاعر³¹:

ولست بهاج في القرى أهل منزل على زادهم أبكي وأبكي البواكيا

فإما كرام موسرون لقيتهم فحسي من ذو عندهم ما كفانيا

"هاج" في اللغة: اسم فاعل من الهجاء، "القرى" - بكسر القاف مقصورا - إكرام الضيف، وحرف الجر "في" هنا يدل على السببية³²: إذ المعنى أنه لن يهجو أحدا بسبب حسن الضيافة من عدمه، لكنّ هذا لا ينعكس، فلا يفهم من كلامه أنه لن يمدح أهل الكرم.

ثانيا: الباء

وهي من أكثر الحروف استعمالاً في السببية، ولا يذكر أكثر النحاة باء التعليل، استغناء عنها بباء السببية، لأن التعليل والسبب -على حد رأيهم- مترادفان.³³ ولذلك مثلوا على باء السببية بالأمثلة والشواهد التي مثل بها ابن مالك للتعليل³⁴، نحو قوله تعالى: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ" المائدة:13. أي بسبب نقضهم الميثاق كان جزاؤهم اللعن، والعلاقة بين النقض واللعن السببية، وهو ما أفادته الباء في الآية.

وجاء ترتيب أركان السببية في الآية الكريمة على النحو الآتي:

1- الرابط: وهي الباء

2- السبب: نقض الميثاق

3- المسبب: اللعن

والملاحظ أن الرابط السببي "الباء" قد تصدر الكلام خلافاً لبقية الروابط التي تتوسط التركيب؛ فتكون بين السبب والمسبب.

وباء السببية التي هي موطن الحديث هنا هي الداخلة على صالح للاستغناء به عن فاعل معداها مجازاً، نحو قوله تعالى: "وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ" البقرة: 22. لأنه قد كثر في الكلام العربي توسعاً ومجازاً أن يسند الفعل إلى آلهة ووسيلته؛ فيقال: أخرج الماء الثمرات، ومنه: كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين. فإنه يقال: كتب القلم، وقطعت السكين. والنحويون يعبرون عن هذه الباء بالاستعانة. ويفضل الكثيرون استعمال مصطلح السببية على الاستعانة إذا كان الحديث عما ينسب إلى الله -عز وجل- من الأفعال.³⁵

أما باء التعليل فهي التي تصلح في موضعها اللام غالباً على حد قول ابن مالك³⁶. كما في قوله تعالى: "إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ" البقرة: 54. وقوله: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ" العنكبوت: 40.

وجاءت أركان السببية في الآيتين على الترتيب الآتي:

1- المسبب: الظلم والأخذ

2- الرابط السببي: الباء

3- السبب: اتخاذ العجل معبوداً والذنب.

فجاء في الآيتين ذكر العقوبة التي حلت بالمعاقبين وهي المسبب ثم الرابط ثم السبب، خلافاً لترتيبها في قوله عز وجل: "فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ" النساء: 160، فقد بُدئ بالرابط "الباء"، ثم السبب: "الظلم" ثم المسبب "التحريم".
فيتضح من ذلك أن للباء موضعين: الصدارة والتوسط.

ومما يذكر أيضا قول العرب: غضبت لفلان، إذا غضبت من أجله وهو حي، وغضبت به، إذا غضبت من أجله وهو ميت³⁷. وهذا محكوم بالاستعمال المتعارف عليه وبالسياق؛ فالتقدير في قولهم: "غضبت لفلان" أي غضبت لأجله، و"بفلان"، أي: بسبب أذية غيره له، فتكون اللام قد دلت على التعليل بينما الباء على السببية.

وأما الباء في: لقيت به الأسد³⁸، وواجهت به الهلال، فهي عند التحقيق باء السببية، والمعنى: لقيت بسبب لقيه الأسد، وواجهت بسبب مواجهته الهلال، وهي كالباء في قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر. وهذا ما يسعى عند البلاغيين التجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها، مبالغة في كمالها فيه، وهو من أبواب علم البديع³⁹، والتقدير في المثال الأول: لقيت بزيد أسداً أي بسبب لقاء زيد، فهو على حذف مضاف، كما قاله الرضي⁴⁰، فقد شُبّه زيد بالأسد، ومبالغة في التشبيه حذف المضاف وألصق لفظ زيد بالأسد مباشرة. وهذه الباء يصطلح عليها بالباء التجريدية، لأنها انتزعت من صفات زيد صفة الشجاعة، كونها أبرز صفاته.

3-5 دلالة السببية في مباحث نحوية متفرقة:

أ- الفاء السببية:

الفاء تعطف اسماً على اسم أو صفة على أخرى أو جملة على جملة، ولا تدل على السببية إلا إذا عطفت جملة على جملة أو صفة على صفة⁴¹، لأنَّ عطف الاسم المفرد بالفاء على مثله لا يدل على السببية، فلا يكون سبباً ولا نتيجة بخلاف الصفة والجملة، كما في قوله تعالى: "فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ" القصص:15. فالوكر هو السبب والقتل هو النتيجة، وجاء كل منهما جملة فعلية والعلاقة بينهما سببية، وهو المعنى الذي أفادته الفاء المتصلة بالفعل قضى.

وقوله أيضاً: "لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54)" الواقعة:52-54.

فالأكل سبب امتلاء البطون وامتلاء البطون يؤدي إلى العطش وهو سبب الشرب، والرابط بين كل سبب ونتيجته هو الفاء.

والملاحظ هنا أنَّ في الآية سببين ونتيجتين؛ فالسبب الأول: الأكل ونتيجته امتلاء البطن والسبب الثاني: امتلاء البطن ونتيجته: الشرب. فالنتيجة الأولى نفسها السبب الثاني وقد كانت حلقة وصل بين الآية الأولى والثالثة، وهنا تظهر أهمية هذه العلاقة أكثر في اتساق التراكيب وانسجام دلالاتها. إلا أنَّ هذه الفاء لا يصطلح عليها نحويًا بالفاء السببية إلا إذا دخلت على مضارع منصوب "بأن المصدرية" المضمرة التي تنصبه بشروط معينة⁴²، بينها النحاة في موضعها، وتكون أيضاً جواباً للشرط بأدوات الشرط المعروفة أو ما فيه معنى الشرط⁴³ نحو: أمّا.

وبناء عليه فالفاء تتوسط أمرين أحدهما "السبب" والآخر هو النتيجة أو المسبب، ولهذا سميت: "فاء السببية"، أي: "الفاء" التي معناها الدلالة على أن ما بعدها مسبب عما قبلها، ولا بدّ - هنا- أن يلها مضارع منصوب⁴⁴. مثال ذلك قوله تعالى: "فَأَصْدَقَ" المنافقون:10.

الفاء سببية، وأصْدَقَ: فعل مضارع منصوب بأن المضمرة لأنه واقع بعد فاء السببية.

وهنا يجب التنبيه إلى أن السبب مع الفاء السببية لا يلزم أن يتقدّم النتيجة دوماً، بل اللازم أن يكون ما بعد الفاء لازماً لمضمون ما قبلها، كما في جميع الشرط والجزاء. ففي قوله تعالى: "قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ" الجمعة:08.

الملاقاة لازمة للفرار، وليس الفرار سببا للملاقاة، لأنّ الموت يلاقي الفارّ وغيره، وكذا في قوله تعالى: "وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ" النحل:53. كون النعمة منه تعالى لازم لحصولها معنى⁴⁵.

فإن ما بعد الفاء لازم، وتقديره مصدرها من الله لوجود النعمة أصلاً، وهذا الربط لازمي لا سببي

ب- إذن:

وتدل "إذن" على السببية أي أنّ ما بعدها متسبب عما قبلها، فإذا قال أحدهم: أجتهدُ، فقل له: إذن تنجح، فإنما أريد جعل الاجتهاد شرطاً للنجاح وسبباً له. وإنشاء السببية من ضرورته أنها تكون في الجواب، وبالفعلية، وفي زمان مستقبل⁴⁶. ومتى توفرت الشروط السابقة دلّت على السببية.

فنتيجة الفعل الأول الذي كان سببا لها هو الفعل الذي دلّ على زمن المستقبل في الجملة الثانية.

فلدينا: السبب: الاجتهاد ← والنتيجة: النجاح والربط: إذن الذي أفاد معنى السببية.

ج- كي:

لا تستعمل عند كثير من النحاة إلا في مقام السببية⁴⁷، على الرغم من أنّها تسمى أيضاً التعليلية، وهي حرف نصب ومصدر واستقبال.

ففي قوله تعالى: "فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّرَ عَلَيْهَا" طه:40. تبين أنّ إرجاع موسى- عليه السلام- إلى أمّه سبب لقرا عينها، فالعلاقة بينهما سببية، والذي أفاد هذا المعنى الحرف "كي".

ففرحة الأم مسبب ونتيجة عن رجوع ولدها إليها بعد انقطاع، وهذا هو السبب، والربط بينهما هو الحرف "كي".

4-5 النعت السببي:

إذا كان النعت الحقيقي يحمل وصفا صريحا لمتبوعه بنفسه، فيقال: هذه عيشة راضية، فالنعت السببي يحمل وصفا لما له علاقة بالمنعوت في التركيب، كأن يقال: هذه عيشة راضي أهلها.

فنلاحظ أنّ كلمة "راضٍ" تبعت كلمت عيشة في الإعراب من الناحية التركيبية؛ فهي نعت سببيّ لها، لكنّها في من ناحية الدلالة نعتٌ للأهل، والربط اللفظي بين كلمة أهلها (الموصوفة معنويًا) وكلمة عيشة (الموصوفة تركيبياً) الضمير (ها) المتصل بالأهل والعائد على العيشة، والربط الدلالي بينهما هو السببية، لأنّ العيشة سبب رضا أهلها. والربط الذي حققته السببية في مبحث النعت السببي ربط دلالي أكثر منه تركيب، خلافاً للمباحث السابقة التي جمعت فيها الربط التركيبي والدلالي معاً.

والخلاصة أنّ علاقة السببية تتدخل في الكثير من الأبواب النحوية واللغوية، وتسهم في ربط التراكيب وأجزائها ببعضها ربطاً معنوياً من جهة وربطاً مقامياً من جهة أخرى، فتحقق بذلك الربط تعالقاً بين علوم اللغة العربية، لأنّ دلالة السببية نجدها في علم الصرف⁴⁸ والبلاغة⁴⁹ كما نجدها في علم النحو إلى جانب الدلالة وسائر فنون اللغة.

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية نوجز أهم النتائج المتوصل إليها:

- يدل مصطلح السببية على الربط والوسيلة والطريق والعلاقة بين السبب والمسبب.
 - يتداخل هذا المصطلح مع مصطلح الاستعانة والتعليل لتقاربها في الاستعمال النحوي ولدقة الفروق بينها، فتبين من خلال البحث أنّ الاستعانة متعلقة بالآلة والوسيلة، بينما يدل التعليل على الدافعية إلى الفعل، أما السببية فهي الرابطة بين سبب الحدث ونتيجته.
 - علاقة السببية من أهم الروابط في التركيب الجملي من حيث البنية والدلالة؛ فمن جهة تسهم في اتساق الجمل فيما بينها، ومن جهة أخرى تحقق انسجام المعاني في سياق دلالي محكم.
 - تقتحم هذه العلاقة الكثير من مباحث النحو خاصة أبواب حروف المعاني، كحروف الجر والنصب، إضافة إلى بعض الأبواب الأخرى.
 - التركيب الشرطي مبني على علاقة السببية، كونه يتألف من جملتين ترتبطان سببياً؛ فلا تكون إحداها دون الأخرى.
 - حرفا الجر الباء و"في" أكثر حروف الجر استعمالاً في سياق السببية.
 - لا تفيد الفاء السببية إلا إذا عطفت جملة على أخرى أو وصفاً على آخر.
 - تستعمل "كي" قصراً للسببية، كما يصطلح عليها بعضهم بالتعليلية.
 - يرتبط النعت السببي بمنعوتة ارتباطاً دلالياً على صعيد المعنى العام للجملة، وتركيبياً من خلال الضمير العائد على
- ويبقى مجال البحث والدراسة في مثل هذه العلاقات مفتوحاً رحباً للباحثين أساتذة وطلبة، لما لها من أهمية في الدراسات اللغوية.

هوامش البحث:

- ¹ - ابن منظور جمال الدين: لسان العرب المحيط، دار صادر بيروت، ط2-02، 2002، 496/11.
- ² - الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2-1998، 599/2.
- ³ - الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1-1405هـ، 201/1.
- ⁴ - المصدر نفسه، 86/1؛ والكليات، 294/1.
- ⁵ - التعريفات، 87/1.
- ⁶ - لسان العرب، 459/1.
- ⁷ - الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، طنطا- مصر، ط1-دتا، 204/7.
- ⁸ - الكليات، 495/2.
- ⁹ - ابن عاشور محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1-16/2000، 24.
- ¹⁰ - ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان، العروض، تح: أحمد فوزي الهيب، دار القلم - الكويت، ط1، 1987، ص56.
- ¹¹ - التعريفات، 154/1.
- ¹² - الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1412هـ، 75/1.
- ¹³ - ينظر: الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2000، 1، 245/1.
- ¹⁴ - ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، 412/1.
- ¹⁵ - أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداي، دار القلم - دمشق، ط1، دتا، 194/11.
- ¹⁶ - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية-مصر، ط1، دتا، 420/2.
- ¹⁷ - السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، 22/2.
- ¹⁸ - ينظر: المصدر نفسه، 24/2.
- ¹⁹ - ينظر: البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تح: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 202-201/1.
- ²⁰ - ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2009، ص:63.
- ²¹ - ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط1985، 6، 139/2.
- ²² - ينظر: الهمع، 417/2.

- ²³ - ينظر: التذييل، 193/11.
- ²⁴ - الإستراياذي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية، تج: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، ط2-1996، 280/4؛ و الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو، المفضل في صنعة الإعراب، تج: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1993، ص:381.
- ²⁵ - الهمع، 418/2.
- ²⁶ - سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر، الكتاب، تج: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، 56/3 وما بعدها.
- ²⁷ - مغني اللبيب، 337/1.
- ²⁸ - المعجم الوسيط، 843/2.
- ²⁹ - ينظر: أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تج: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1999، 2، ج16، ص344.
- ³⁰ - العاملي بهاء الدين محمد بن حسين، الكشكول، تج: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1998، 37/2.
- ³¹ - ينسب البيت إلى منظور بن سحيم، ينظر: المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تج: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ج3، ص813.
- ³² - ابن عقيل بهاء الدين عبد الله الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تج: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - دمشق، ط2-1985، 46/1.
- ³³ - ينظر: ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل - بيروت، ط5-1979، 38/3.
- ³⁴ - المرادي ابن أم قاسم أبو محمد بدر الدين حسن، الجني الداني في حروف المعاني، تج: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1992، ص40.
- ³⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ص40.
- ³⁶ - ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي، شرح تسهيل الفوائد، تج: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1990، 1، 150/3.
- ³⁷ - الصحاح، 194/1.
- ³⁸ - الصبّان أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، ط1-1997، 998/1.
- ³⁹ - الجني الداني، ص48.
- ⁴⁰ - شرح الكافية، 267/4.
- ⁴¹ - ينظر: الأنباري أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تج: جودة مبروك محمد، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1-2002، 557/2.
- ⁴² - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط15، دتا، 574/3.
- ⁴³ - الجني الداني، ص66.
- ⁴⁴ - ينظر: النحو الوافي، 353/4.

- ⁴⁵ - ينظر: شرح الكافية، 269/1.
- ⁴⁶ - ينظر: الجني الداني، ص 365.
- ⁴⁷ - شرح الكافية، 56/4.
- ⁴⁸ - ينظر: مسألة إعمال الصفة المشبهة: ابن قيم الجوزية برهان الدين إبراهيم بن محمد، إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تج: محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف - الرياض، ط 1954، 1، 557/1؛ ومسألة دلالة "مفعلة": همع الهوامع، 242/2.
- ⁴⁹ - في علاقات المجاز المرسل والمجاز العقلي وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، ط 1، دتا.
2. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تج: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1999، 2.
3. الإستراياضي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية، تج: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، ط 2-1996.
4. أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تج: جودة مبروك محمد، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1-2002.
5. البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تج: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.
6. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تج: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1-1405هـ.
7. الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط 4، 1987.
8. ابن جني أبو الفتح عثمان، العروض، تج: أحمد فوزي الهيب، دار القلم - الكويت، ط 1، 1987.
9. أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تج: حسن هندراوي، دار القلم - دمشق، ط 1، دتا.
10. الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو، المفصل في صنعة الإعراب، تج: علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط 1، 1993.
11. الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تج: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2000، 1.
12. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1991.

13. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1988، 3.
 14. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية-مصر، ط1، دتا.
 15. الصبّان أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، ط1-1997.
 16. ابن عاشور محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1-2000.
 17. العاملي بهاء الدين محمد بن حسين، الكشكول، تح: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1998.
 18. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط15، دتا.
 19. ابن عقيل بهاء الدين عبد الله الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - دمشق، ط2-1985.
 20. الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1412هـ.
 21. الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، طنطا-مصر، ط1-دتا.
 22. الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2-1998.
- *- ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي:
23. ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2009.
 24. شرح تسهيل الفوائد، تح: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1990، 1.
 25. المرادي ابن أمّ قاسم أبو محمد بدر الدين حسن، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1992.
 26. المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2003.
 27. ابن منظور جمال الدين: لسان العرب المحيط، دار صادر بيروت، ط2-2002.

*- ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين:

28. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل - بيروت، ط5-1979.

29. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985.